تابع- التوحيد

عباد الله مازلنا مع الحج والحجيج، مازلنا نقطف أغلى الثمرات من أطيب النفحات.

فقد بدأنا من الخطبة الماضية في هذا المعنى، وبدأنا بشعار الحجيج، ألا وهو:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك،

إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك له

وعلمنا أن هذا الشعار يدل على التوحيد الخالص.

وقد تكلمنا في الخطبة الماضية عن معنى التوحيد وأنواعه وفضائله، وبَيَّنَّا حرص النبي ﷺ على الأمة من الوقوع في الشرك، وكيف أنه ﷺ كان يحفظ جناب التوحيد، ونستكمل في هذه الخطبة بإذن الله ما أراد رسولنا ﷺ أن يعلمه إيانا.

فمن الشرك الذبح لغير الله: يقول تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾** ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ويقول تعالى: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾** ﴾ [الكوثر: ٢]،

أي: صل لربك وانحر لربك، ولا تذبح لولي، ولا لنبي، ولا لأحد إلا الله جل شأنه.

فعن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **(لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَار)**[1].

بل إن الشرع الحنيف بين لنا أن لا نذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، كالأماكن التي فيها البدع والخرافات والذبح لأصحاب الأضرحة من دون الله، ولو كان في نيته الذبح لله، عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: **(نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْفِ بِنَذْرِك، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ**

[1] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1978).

اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ)[1].

نعم عباد الله، فقد بين ﷺ ألا يذبح في مكان يذبح فيه لغير الله حتى لا يتشبه بمن يفعل ذلك ويقرهم على فعلهم.

نعم عباد الله، فشرعنا الحنيف يريدنا أن نخلص التوحيد لله ولا يكون فيه من الشوائب ما يكدر صفوه.

ومن الشرك الاستعانة والاستغاثة بغير الله:

فلا دعاء، ولا تقرب، ولا استغاثة، ولا استعاذة إلا بالله جل شأنه، يقول تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾** ﴾ [الأنعام:١٧]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾ [النمل: ٦٢].

ومن يستغيث بمخلوق فإنه لا يزيده إلا تعبا وحيرة، فقد قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾** ﴾ [الجن: ٦]، فقد كان بعضهم إذا نزلوا منزلاً قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي، فقوي الجن، فزادوا الإنس تعبًا ونصبًا.

ألم يعلم هؤلاء أن المستغاث هو الله سبحانه وتعالى، فعن خولة بنت حكيم قالت: **(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ)**[2].

عباد الله، نعم قد يساعدك مخلوق، ولكن لا تعلق قلبك به، وعلق قلبك بخالقه مسبب الأسباب، ثم من يساعدك هذا لابد وأن يساعد مساعدة هو يقدر عليها، لا نأتي لحجر أو

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (3313)، وسكت عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (3313).

[2] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2708).

لميت أو نحوه ونطلب منه المساعدة، فهذا غير مستساغ شرعًا فضلاً على أنه سفه عقلي.
وهيا بنا عباد الله نضرب مثالًا حيًا واقعًا في عصورنا وفي بعض مساجدنا، هذا السخف وهذا الانحطاط العقلي والديني، بل إن شئت قلت هذه المهازل التي نراها من تمسح بقبور، واستغاثة بميتين، وموالد وأعياد ما أنزل الله بها من سلطان، ولهذا كان النبي ﷺ شديد الحرص وشديد الوضوح في تبيين هذه المسائل، فها هو النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت يغمى عليه ثم يفيق ليوصي بوصية لا شك في أن هذه الوصية من الأهمية بمكان، قال ﷺ: (**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[1]، وقال في حديث آخر: (**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[2].

فكم من معاص ومخالفات تكون عند مثل هذه القبور وعند هذه الأضرحة!!

وقد يقول قائل: وما ضرر ذلك فأنا أتقرب إلى الله لا أتقرب إلى صاحب القبر؟ فالرد على مثل هذا أن هذا هو قول رسول الله ﷺ وتحذيره الشديد، ثم انظر ماذا حدث.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾** ﴾ [نوح: ٢٣ - ٢٤]، قال: (**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**)[3].

فأنت تقول: أنا أدخل المسجد الذي فيه القبر أصلي لله وأقرأ الفاتحة للولي، ثم يأتي ابنك

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (4441)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (529).

[2] أخرجه مالك رحمه الله في موطئه رواية أبي مصعب الزهري (1/ 223)، و صححه الألباني رحمه الله في تخريج مشكاة المصابيح (715).

[3] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (4920).

يدعو الله عنده، ثم يأتي ابنه يستغيث به ويطل منه المدد، وهكذا حتى وصلنا الآن إلى هذا الذي نحن فيه من تقرب، وتمسح، وتوسل، واستغاثة، بل منهم من يذهب إلى الولي ليكتب رسائل يطلب فيها من الولي الشفاء، أو النجاح، أو الزواج، بل كلمة مشهورة منتشرة: مدد يا فلان، والمدد لا يكون إلا من الله فقط، قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الإسراء: ٢٠]، ولهذا لما نسي العلم وضعفت الدعوة للتوحيد الخالص؛ جهل الناس دينهم، وفعلوا أفعالاً تضعف هذا التوحيد الخالص، وتنافي ما عليه الشرع الحنيف.

ومن أمثلة ذلك:

السحر:

لغة: وهو ما خفي ولطف سببه، ولهذا سمى آخر الليل بالسحر؛ لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية.

وشرعًا ينقسم إلى قسمين:

1. عقد ورقي فيه قرارات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريده لضرر المسحور، ولكن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾[البقرة: ١٠٢].
2. أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور، وعقله، وإرادته، وميله، فتجده ينصرف ويميل وهي ما يسمى عندهم بالصرف والعطف، فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف العكس.

ويؤثر السحر في بدن المسحور فيضعف وربما يهلك، وكذلك يؤثر في تصوره وعقله وربما يصل به إلى الجنون، ولهذا فالشرع الحنيف كان صارمًا مع مثل هؤلاء السحرة، فقد حكم

على من مارس النوع الأول بالكفر؛ لأنه لا يتأتى له ذلك إلا بالشرك غالبًا، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة: ١٠٢]، ومن كان سحره بالأدوية يعتبر عاص معتد.

فعن جندب رضي الله عنه: (**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**)[1]، وعن بجالة يَقُولُ: (**أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنْ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ**)[2].

ولم لا يقتل عباد الله وإنهم يسعون في الأرض فسادًا، يمرضون، ويقتلون، ويغرقون، وهؤلاء ليس لهم نصيب يوم القيامة؟!!

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[البقرة: ١٠٢]، أي: من تعلمه ليس له نصيب، يقول العلماء: انتفاء النصيب يعني أن عمله باطل، فيكون كفرًا إن انتفى بالكلية، ويعتبر فسقًا إذا انتفى كمال النصيب.

ولهذا فقد حذر الرسول ﷺ أمته من هذا السحر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**)[3].

---

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (1460)، وقال الألباني رحمه الله في تخريج مشكاة المصابيح (3482): الصواب عن جندب موقوفا، وحسنه الحافظ بن حجر رحمه الله في تخريج مشكاة المصابيح (409/3).

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (28982)، وأخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (3043) بلفظ مقارب، وسكت عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (3043).

[3] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (6875)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (89).

ومع ذلك عباد الله فما زال بعض الناس وخصوصًا النساء يذهبن إلى السحرة والمشعوذين لفعل السحر، وهذا كثير ونراه، وكم من أعمال تعمل ويأتي المريض يزيد الطين بلاً ويعالج عند هؤلاء المشعوذين حتى يكون في ظلمات بعضها فوق بعض، وهذا من النشرة التي قال عنها ﷺ: "**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**"[1]، والنشرة حل السحر عن المسحور بسحر مثله.

عباد الله أقولها لكم واضحة جلية، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلا تحزن أيها المريض ولا تخف، التجئ إلى الله، واعلم أن كل شيء بأمره، فزد من ذكره، ومن الصلاة، وقراءة القرآن، والقيام، والأعمال الصالحات، يغلق جسدك أمام هذه الأسحار، والأعمال، والجن، وكل من أراد أذيتك، فلن يضروك إلا بإذن الله، فاعلم أن الله أكبر، وتذكر قوله ﷺ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**)[2].

أما إن كنت من المفرطين، من الغافلين، من الساهين العاصين، وأصابك مثل هذا فلا تولمن إلا نفسك، فقد سرت خلف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿**أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ** ١٩﴾ [المجادلة: ١٩].

ومن الناس من يسير خلف الكهنة والعرافين ليخبروه عن مسروق أو عن شيء غائب، فهؤلاء هم الخاسرون.

أيها الأخ الكريم، نق توحيدك، ولا تدخل عليه الشوائب والمخالفات، لا تتبع إلا شرع الرسول ﷺ، أما إن سرت خلف الكهنة والمشعوذين؛ فماذا تستفيد؟ اسمع إلى رسولك ﷺ وهو يقول: (**مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ،**

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (3868)، وسكت عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله (3868).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (2516)، وصححه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي رحمه الله (2516).

فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[1]، وفي رواية **(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**[2].

ومما يقدح في التوحيد عباد الله التشاؤم، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: **(لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ)**[3]، **لا عدوى:** أي لا يعتقد أن المرض انتقل بذاته، أما قول النبي ﷺ: **(وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ)**[4]، فهذا من باب تجنب الأسباب، لا من باب تأثير الأسباب بنفسها.

والهامة: طائر يزعمون أنه إذا وقع على بيت أحد ونعقت فإنه سوف يموت.

صفر: بعضهم كان يتشاءم من شهر صفر.

فلا تتشاءم عبد الله بشيء فهذا من الشرك كما بين ذلك ﷺ قال: **(مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)**[5].

ومعنى لا طير إلا طيرك: أي الطيور كلها ملكك لا تفعل شيئًا بل هي مسخرة.

عباد الله هذه هي شريعتنا فقد أرادها الله توحيدًا خالصًا، خالصًا من شوائب الشرك والمخالفات.

وهذا هو شعار الحجيج، كله توحيد خالص من الشرك والمخالفات.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك

فليكن الشعار وليكن الذكر موافقًا للفعل.

---

[1] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (639)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (639).

[2] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2230).

[3] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (5757)، واللفظ له، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2220).

[4] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (5707).

[5] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (7045)، وصححه الألباني رحمه الله في إصلاح المساجد (117).

فالله سبحانه هو الواحد الأحد، لا شريك له،

الفرد الصمد، لا شريك له،

أحد في ربوبيته، لا شريك له،

واحد في ألوهيته، لا شريك له،

أحد في صفاته، لا شريك له،

نثبت ما أثبته الله لنفسه، لا شريك له، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، لا شريك له.

فهو واحد، لا شريك له،

ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، لا شريك له،

قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا شريك له،

لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد،لا شريك له،

لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام،

حي لا يموت، قيوم لا ينام،

لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون.